



مَكَانُهُ
السلطان الجمهوري زائيلج الجبري
في الجزيرة العربية
بقلم الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان

لعله من البدييات القول، بأن هنالك ترابطاً وثيق الصلة ما بين اتجاهات العلاقات الخارجية لأي كيان سياسي وبين أوضاعه الداخلية، إذ هما وجهان لعملة واحدة. فتتبع أوجه العلاقات الخارجية لهذا الكيان السياسي أو ذاك، وتشعبها سلباً أو إيجاباً، وامتداد مجاله الحيوي ضيقاً أو اتساعاً، مرتبط أساساً بنوع البناء الداخلي لذلك الكيان وبقوته أو ضعفه، وما يتولد عن ذلك من دوافع واتجاهات في مجال أو أكثر. وهذه الحقيقة كانت موجودة في عالم الماضي مثلما هي موجودة في عالمنا اليوم.

ومن هنا كانت الدراسات التاريخية لعلاقات الدول الخارجية تتسم بأهمية خاصة، إذ أنها تفيد في الكشف عن أوجه وحقائق كثيرة تمت بأولى الصلة إلى الأوضاع الداخلية، مما لا نستطيع الحصول عليها عندما نكون الدراسة ذاتاً واحداً، وبذلك نكون أقرب إلى إعطاء التفسير السليم لكثير من الوقائع والأحداث، إضافة إلى التفويم لتقل أي كيان سياسي في أي مجال من المجالات السياسية منها أو الاقتصادية أو الاستراتيجية أو الحضارية.

لقد عرف منذ القدم، عن سكان جزيرة العرب، خصوصاً سكان سواحلها الشرقية والجنوبية، سعة صلاتهم بعالم المحيط الهندي وتنوعها، وبأن هذه الصلات أخذت بالازدياد والانتساع والترابط منذ ظهور الإسلام، بحيث أنها قد تركت بصماتها واضحة جلية على نواح عدة من حياة مختلف شعوب المحيط الهندي والبحار المتصلة به، أضحت ما يحدث في جهة من جهاته ينعكس أثره السليبي أو الإيجابي بدرجة ما على بقية جهاته.

ومن هنا كان التحري عن مصادر هذه العلاقات والروابط، وتوسيع دائرة البحث عنها، ثم الدراسة النقدية المقارنة لها، مما يساعد، بدون شك، على إراحة سائر الغموض عن بعض الجوانب التي لا تزال مجهولة من تاريخ الجزيرة العربية، وبقرئنا أكثر من التعرف على السمات العامة لذلك التاريخ^(١).

ان معلوماتنا التاريخية - على سبيل المثال لا الحصر - عن الصلات الخارجية لشرقي الجزيرة العربية ووسطها خلال العصر الاسلامي الوسيط، هي في الغالب متواضعة جدا وغامضة، لذا فأني كشف بهذا الخصوص، مهما صغر في حجمه، لابد أن يلقى الاهتمام والترحيب من المعنيين بتاريخ الجزيرة العربية.

وبين أيدينا وثيقة، تستحق الدراسة والتعليق، وهي عبارة عن رسالة موجهة الى الشيخ أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العامري العقيلي (٨٢١/ ١٤١٨ - ٩٠٩/ ١٤٩٩)^(١) والذي كان أكثر سلاطين إمارة الجبور في نجد وشرقي شبه الجزيرة العربية شهرة^(٢). ومصدر هذه الرسالة هو الوزير عماد الدين محمود بن أحمد القاواني الجيلاني الشهير بخواجه جهان (٧٤٨/ ١٣٤٧ - ٩٣٣/ ١٤٨١)، الذي يعتبر أشهر رجال السلطنة البهمنية (٧٤٨/ ١٣٤٧ - ٩٣٣/ ١٥٢٧) في الهند^(٣).

ومن المفيد في بحثنا هذا التعرف بإيجاز على شخصية كل من: مرسل الرسالة والمرسلة اليه.

فمحمود بن أحمد القاواني أصله من إقليم جيلان المطل على بحر قزوين، اذ ولد في قزلان عام ٨٠٨ (١٤٠٥)، من أسرة متميزة وعلى صلة وثيقة بحكام إمارة جيلان. تلقى محمود القاواني تعليمًا جيدًا في صغره، ثم حج في مقتبل شبابه وأقام في مكة فترة من الزمن، ثم بعد بعدها الى ايران بل انتصرف الى التجارة في الخليج العربي، وفي عام ٨٥٩/ ١٤٥٥ أبحر الى الهند، واتصل بأحمد شاه الثاني (٨٣٨/ ١٤٣٥ - ٨٦٢/ ١٤٥٧) سلطان البهمنين في الدكن الذي قربه وأدناه وضمه الى كبار رجال دولته، بعد نجاحه في مهمة عسكرية كلف بها. وقد ازدادت مكانة محمود القاواني أهمية في عهد همايون شاه بن أحمد شهاب (٨٦٢/ ١٤٥٧ - ٨٦٥/ ١٤٦١) الذي جعله وزيره الأول ومنحه لقب «ملك

التجار»، ثم انه في خلال الفترة التي امتدت منذ وفاة همايون شاه حتى مقتل القلواني (١٤٨٦ / ١٤٨١)، كان الوزير محمود هو رجل السلطة البهمنية الأول الذي يواجه دفعة السياسيين الداخلية والخارجية. وحاز خلالها لقباً رسمياً هو «خواجه جهان» لكن شهرته في الهند به «قلوان» أو «قلواني»، نسبة الى مسقط رأسه، ظلت هي السائدة.

لقد استطاع خواجه جهان بانجازاته ونشاطه خلال تلك الفترة، أن يحقق نجاحات هامة في الميدان السياسي والعسكري والاداري والتجاري، أدت الى أن تتبوأ السلطة البهمنية مركزاً هاماً في شبه القارة الهندية، واحتل هو بذلك منزلة بارزة بين الشخصيات الهامة في تاريخ الهند^(١).

ان الجانب الذي يجدر بنا الانتباه اليه هو أن علاقات السلطة البهمنية التجارية والسياسية بكل من حكام مناطق ايران والمحليج العربي والحجاز ومصر والدولة العثمانية كانت وثيقة ونشطة، خلال الفترة التي كان فيها القلواني صاحب الكلمة النافذة في توجيه السياسة العامة للبهمنيين.

ومما يستند ما ذهبنا اليه هو الدراسة التي نشرها جان أوبان عن علاقات دولة اق قوبيلو في ايران مع البهمنيين^(٢)، وكذلك سجلات قاضي مدينة بورصة العثمانية^(٣) اضافة الى رسائل خواجه جهان نفسه الى حكام ورجال الدولة في المناطق المشار اليها آنفاً^(٤). بل ان القلواني نفسه كان له تجارة خاصة به، يزاوها من خلال وكلائه في جزيرة العرب والدولة العثمانية^(٥). الأمر الذي يجعلنا على القول بأن قوة العلاقات ما بين البهمنيين والمناطق المشار اليها فيما سبق يمكن أن تعزى بشكل أساسي، توجيهها وتنفيذها الى هذا الوزير.

ولقد احتل خواجه جهان منزلة واحتراماً كبيرين في نفوس حكام المناطق المشار اليها، حتى أن السلطان محمد شاه الثالث (٨٦٧ / ١٤٦٣ - ٨٨٧ / ١٤٨٢) عندما قتل الرجل الأول في دولته خواجه جهان، وصادر أمواله، سارع الى ارسال الرسائل الى معظم حكام هذه المناطق يبرر فيها اقدامه على

فعلته هذه^(٢٠). كما أن المؤرخ المكي ابن فهد (ت ٩٢٢)، قد ذكر بأنه بعد وصول خير مقلل خواجه جهان الى مكة قرىء القرآن على روحه في المسجد الحرام، وحضر شريف مكة محمد بن بركات بنفسه يوم الختم^(٢١).

- ٢ -

لقد قام عبد الكريم بن محمد التيمذهي، كاتب الوزير خواجه جهان، بجمع عدد من الرسائل التي كان يبعث بها الوزير المذكور، وضمها كتابه المسمى «كنز المعاني من الانشاء». ويبدو أن معظم هذه الرسائل كان قد كتبها التيمذهي بخط يده، خلال فترة خدمته لخواجه جهان التي امتدت ثمان سنوات، من ٨٧٨ (١٤٧٣) حتى مقتل الأخير سنة ٨٨٦ (١٤٨١). ومن وفاته لسيد القتل، أن ضمن بعضا من رسائله المشار اليه، وكان غالبا ما ينمته فيه بالشهيد^(٢٢).

على أن معظم هذه الرسائل التي تضمنها المخطوط قد كتبت باللغة الفارسية ماعدا خمس منها قد كتبت بالعربية، اثنتان للمولي محسن بن محمد المهدي (ت ٩٠٥/١٥٠٠) سلطان امارة المشعشين في عرستان وجنوب العراق، ورسالة واحدة لكل من شريف مكة وسلطان الماليك والسلطان أجود بن زامل الجيزي.

والواقع فإن الرسائل المتبادلة ما بين الوزير محمود القاولي وحكام ايران ومنطقة الخليج العربي والخليج ومصر، بالإضافة الى أنها تؤكد عمق العلاقات التي أشرنا اليها آنفا، فانها تصلح أساسا لأن تكون من المصادر الرئيسية التي يرجع اليها في دراسة تفصيلية لهذه العلاقة وتقويمها.

والذي يعني في بحثنا هذا هو الرسالة المرسلة الى السلطان أجود، إذ أن تحليل ماتضمنته من معلومات وتعايير - على قلتها - ربما تفيدنا في اكتشاف حقائق تاريخية جديدة عن سلطنة الجبور، تدعم معلوماتنا عن الثقل السياسي لهذه السلطنة في منطقة الخليج العربي خاصة والجزيرة العربية عامة. وتكتسب

هذه الرسالة أهميتها أيضا من كونها ليست رسالة شخصية بحتة، وإنما هي ذات صفات رسمية.

والذي يجدر التنويه به هنا، هو أن سلطة الجبور قد بلغت أوج شهرتها وسطوتها في عهد سلطانها الشيخ أجود بن زامل، الذي تولى السلطة في كل من القطيف والأحساء وبعض مناطق نجد قبل عام ٨٧٤ (١٤٧٠) بقليل^(١٣). لقد استطاع هذا الشيخ بميولته وصلابته وعزمته الملقنة للانتظار، أن يحسن استئثار الأوضاع السياسية المحيطة بسلطنته من أجل توسيع حدوده وزيادة موارده. فقد تدخل في الصراع السياسي الدائر في عمان، وفي مملكة هرموز، التي تمتد أراضيها على جانبي الخليج العربي، ليخرج من ذلك بمكاسب كبيرة، تنبع عنها ارتفاع شأن سلطنته، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية^(١٤).

يضاف إلى ذلك نجاحه إلى حد كبير، في تحقيق الأمن على الطرق التي تسلكها قوافل الحج والتجارة ما بين ساحل الخليج العربي والحدجاز، عبر أراضي نجد، وإن هذا الطريق أصبح يكتسب أهمية متزايدة خلال معظم القرن التاسع (الخامس عشر). بل والأكثر من ذلك فإنه كان لوجود قافلة الجبور - والتي غالبا ما يقودها الشيخ أجود شخصيا أو أحد أفراد أسرته - في معظم مواسم الحج أثر يذكر في المساعدة على حفظ الأمن في الحدجاز^(١٥).

ومن هنا فقد طارت شهرة الشيخ أجود، وذاع صيته، وعمت مهابته، وأضفى عليه معاصروه النعوت والألقاب الكثيرة، التي تشعر بشيء من التبجيل كتلقبه بـ «سلطان البحرين والقطيف والחסا، ورئيس أهل نجد»^(١٦).

والذي تلخص إليه مما تقدم أنه ليس بمستغرب أن نرى سعي سلطنة اليمانيين لإقامة علاقات صداقة متبادلة مع سلطنة الجبور، وهي المعنية بتنمية وتوسيع علاقاتها التجارية، مع منطقة الخليج والجزيرة العربية، وأن تعبر رسالة الخواجه جهان عن ذلك، كما سوف نرى^(١٧).

ان رسالة الوزير خواجه جهان الى الشيخ بن زامل، التي نحن بصدد تحليل محتواها، لا تحمل تاريخا محددا. الا أن المؤرخ الفرنسي جان أوبان Aubin يفترض أن الرسالة قد كتبت بيد عبد الكريم النيمدهي خلال سنوات خدمته للوزير المذكور، والتي سبق أن قلنا، أنها قد امتدت ثماني سنوات^(١٨).

وحيث أن أوبان لم يشر الى دليل على فرضيته هذه، فلا بد أنه قد ذهب هذا المذهب نظرا الى أن هذه الرسالة كانت موجودة ضمن مجموعة رسائل خواجه جهان التي جمعها النيمدهي في كتابه «كنز المعاني». وإذا صح ما أشرنا اليه فإن هذا لا يصح أن يقوم دليلا قاطعا يستند اليه. فالرسائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني» لا يجوز الافتراض أنها قد كتبت جميعها بيد عبد الكريم النيمدهي. فالكتاب قد أعده الكاتب كما يبدو كتعبير عن وفائه لسيده المقتول غدر^(١٩). ولكي يظهر كذلك، قدرته البلاغية في الانشاء. اضافة الى ذلك فإن رسائل القتل التي ضمها الكتاب، ربما يكون البعض منها قد كتب قبل دخول الكاتب في خدمته. كما يمكن أن نتصور أن رسائل خواجه جهان التي كتبها قبل التحاق النيمدهي بخدمته، بإمكان الأخير الاطلاع عليها ومعرفة مكان وجودها على وجه مؤكد، فيختار ما يشاء منها ليضمه لكتابه المذكور. ثم ان المتأمل في مجموع الرسائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني»، يدرك بأنها مختارات من رسائل خواجه جهان وليست جميع رسائله، وان اختياره هذا العدد المعين منها يعود الى أنها تختص بحكم بلاد ايران والخليج العربي والحجاز، وكان هذا الاختيار من عمل عبد الكريم النيمدهي، لأنه من أبناء الخليج العربي، وقد قضى معظم حياته يعمل فيه، وبهم بكل ما يتعلق بأحداثه^(٢٠). هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يعود الى الصور البلاغية والمهارة اللغوية التي تبرزها هذه الرسائل، وما تسمية الكتاب بكنز المعاني من الانشاء الا دليل على ذلك.

علوة على ذلك أن عنوان بعض الرسائل نجدها تبدأ بـ «من قول الخلدوم

الشهيد...» أو «من لسان المخدم...» والمقصود في كل ذلك محمود القلاوي.
كما نجد منها ما يبدأ بـ «من المؤلف باسم الحضرة السلطانية...»^(١١) وفي ذلك ما يؤكد ما ذهبنا إليه في عدم حتمية أن جميع الرسائل في «كنز المعالي» قد كتبها اليمسدي.

على أن عدم اطمئناننا إلى قوة فرضية (أوبان) حول تاريخ الرسالة المرسلة للسلطان أجود، يقتضي منا طرح فرضية أخرى لتاريخ كتابتها.

والواقع فإن ماورد في رسالة الوزير القلاوي إلى السلطان أجود المجري من فقرة تشير إلى تعرض سفينة بعض التجار من رعايا أجود، إلى عملية قرصنة في عرض البحر، ولجؤهم إلى بلاد الهمنيين في الهند وقد فقدوا كل شيء^(١٢).
تصلح لأن تتأمل فيها للوصول إلى تاريخ تقريبي لهذه الرسالة.

إن عملية القرصنة هذه لابد أن تكون قد وقعت في المياه القريبة من سواحل الهمنيين أي في خليج كمبايا بالذات، الذي تطل عليه موانئ سلطنتي الكوجرات والهمنيين، حيث لابد أن يكون رعايا أجود قد لجأوا إلى أقرب ميناء الهم. أن مثل هذه القرصنة تعتبر تهديدا مباشرا وخطيرا للتجارة الخارجية للسلطنتين المذكورتين، وكان لابد من اتخاذ الاجراءات الرادعة لها.

ومراجعة سريعة لتاريخ السلطنتين المذكورتين في تلك الفترة نجد أن أهم الحروب الخارجية الكبيرة التي خاضها الهمنيون في تاريخهم، وشارك في جزء منها الكوجراتيون هي تلك التي حدثت ما بين عام ٨٧٤ (١٤٧٠) و ٨٧٧ (١٤٧٣). وكانت هناك حملات برية وبحرية، موجهة ضد دولة وجيانكر Vijayanagar الهندوسية، وضد نشاط القراصنة في خليج كمبايا.

ولقد تحقق للهمنيين خلال ذلك نجاحات عسكرية واقتصادية كبيرة في البر والبحر، كان من أبرزها استيلائهم على ميناء غوا Goa الهام على ساحل مليبار، والذي يحتمل أن يكون آنذاك من قواعد القرصنة الذين يمارسون

نشاطهم في خليج كمبابا ضد السفن المتجهة الى موانئ الكجوراثين واليمنين. وكان محمود القلاوي يقود هذه السفينة بنفسه، وقد استقبل بعد عودته منها بحفلة كبيرة^(٢٦).

ولعل مما يؤيد أن عملية القرصنة التي كانت تحدث في خليج كمبابا هي من عمل الهندوس، هو مذكرته المصادر البرتغالية من أن راجات وجيانكر الهندوسيين قد عاودا نشاطهما بعد وفاة غواجه جهان بقليل، وتمكنا من انتزاع جزء من ساحل مليبار من المسلمين عام ١٤٧٩ (٨٨٤). وأعقب ذلك تجديد نشاط القرصنة ضد سفن المسلمين حيث كانوا يأخذون حمولة السفن ويعفون عن ركابها. كما تضيف المصادر البرتغالية بأن هؤلاء القرصنة قد تعاونوا مع البرتغاليين، حين ظهورهم لأول مرة أمام سواحل الهند الغربية، ضد المسلمين خصوصاً في الاشتراك معا في مهاجمة ميناء غوا^(٢٧).

والخلاصة، يمكننا أن نفترض أن الهجوم على سفينة رعايا السلطان أجود، وقع قبيل قيام الوزير محمود قلاوي بحملاته التأديبية ضد القرصنة في خليج كمبابا، بفترة قصيرة. إذ أننا لانجد في رسالة القلاوي الى السلطان أجود ما يشير الى هذه الحملات أو حتى الاعتراف القيام بها، وربما حدثت هذه التطورات بعد ارسال هذه الرسالة. ولذلك فان التاريخ الذي نقرحه لهذه الرسالة هو في حدود عام ٨٧٤ (١٤٧٠).

ان هذا التاريخ الذي افترضناه لهذه الرسالة، يدعونا الى الاعتقاد، بأن بداية تولي السلطان أجود بن زامل الجيري للحكم، كانت قبيل تاريخ ارسال الرسالة بقليل^(٢٨).

— ٤ —

تقع الرسالة المشار اليها تحت عنوان «من قول المخلوم الشهيد الأكبر الى الشيخ أجود المعروف بابن جبر»^(٢٩). والمخلوم الشهيد، هو الوصف الذي

بطلبه الكاتب غالبا على سيده القنيل الوزير محمود القلاوي، الشهير بخواجه جهان.

ان أول ما يلاحظ في رسالة القلاوي، هو الألقاب والتعوت التي يستعملها في مخاطبته للشيخ أجود، فهو «الملك الأعظم الأكرم الأهمم الأقدم، مالك البر والبر.. ملك ملوك العرب، سلطان أجود...». ثم عبارات «... الجنب الأموي.. الملكي الكبير...»^(١٣٧).

في الواقع، أن هذه التعوت والأوصاف التي استخدمها الوزير القلاوي، يستبعد أن تكون قد أطلقت اعتباطا، بالرغم من أنها تنحى الى التفضيع والتعظيم، إذ نحن نعرف صيغ المخاطبات والمكاتبات، ونوع الألقاب والتعوت التي تستخدم فيها، لها أصولها وقواعدها التي أصبحت متعارفا عليها في دواوين المكاتبات منذ أواخر العصر العباسي، حتى اكتملت صورها في القرن الثامن (الرابع عشر). ولقد تحدث كل من: ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨) والقلقشندي (ت ٨٢٨ / ١٤١٨) اللذين سبق لهما أن شغلا مراكز كبيرة في دواوين الدولة المملوكية، عن صيغ المخاطبات وأصولها، ودرجاتها تبعاً لمنزلة المخاطب ومكانته^(١٣٨). والذي يبدو لنا أن شكل المخاطبات الرسمية في تلك الفترة قد اتخذ صور ما نسميه اليوم «بأصول البروتوكول» المتعارف عليها، والتي يؤدي الخروج عليها الى بعض التعقيدات والاحراجات.

وبالخلاصة، فإن صيغ الألقاب والتعوت التي استخدمها خواجه جهان في مخاطبة السلطان أجود من زامل، هي من الأصول المتعارف عليها عند مخاطبة أمثاله، وهي تناسب ومركزة كحاکم له نفوذ كبير في الجزيرة العربية والخليج. كما أنها لا تغلو من أوصاف حقيقية للمخاطب، ولا تحولت الى نوع من أنواع السخرية المبطنة. بل يمكننا أيضا أن نفترض أن صيغة الألقاب أو بعضها، ربما كانت من وضع كتاب سلطة الجيوش أنفسهم. إذ نحن نعرف أن كثيرا من الحكام يتخذون لأنفسهم ألقابا خاصة بهم وتجري مخاطبتهم على أساسها.

ان الملاحظة الثانية، والتي تكمل الملاحظة الأولى، في هذه الرسالة، هي

أصناف الشخصية التي خلقها على أحواد، فهو « . حاملي حرب وعصاة،
مبارر معذب شجعان، كراز انصاف باسف والساك، أعدى ملوك لأصناف
، لأفصر، شجع ولادة الأركان والأعصر، معمر حجاج بيت الله حرم، عبده
روز اسي عبه اسلام، لار صرق ابوازي بيلرقة^{١٤} تقويته مأمونة على
مروء بطوازي » كما أن رسالة قد حتمت به بدعاء « رب كما وفقه
حمية أهل بدر ووبر، جعل طول عمره في يوم تشر »^{١٥}

والذي يمكن أن نلاحظه على الأوصاف هي بحثها الرسالة سلطان
أخود، من فروسية متميزة وشجاعة مشاهية، وحاج كبير في حماية الطرق
والذي يستكونه، ضافة إلى سجد الكبير وسيدب الشديد ونفوى الله، أما في
الحقيقة أوصاف كرز معصرو أخود من رمل وأعباءون به شخصيات ترددها
فانسهودن (ت ٩١١) وصف أخود بأنه « رئيس أهل عد وورأسها، سعاد
ابحري وأعصيف، فريد وصف وسع، صلاحاً وإفضالاً، وحسن عفيفه،
أبو خود أخود من رامل حبر، يده الله وسدده^{١٦} » . كما أن اسعدوي
(ت ٩٠٢) قال عن أخود «... كان رئيس مجد ذاك السبع يهدون على لوصف،
مع فروسية، وقد تعدد في يده حركات كثيرة وأداء الجمعة والحمد عاب
وأكثر من حج في سبع كثير، سبعون آلا، مصاحبا لمصدق
وأصل^{١٧} »

إن الحاجة جهل يعبر في رساله هذه إلى السلطان أخود عن رعيته في أن
تكون هذه الرسالة فاتحة عهد من الصداقة وعية، وسأ شادل المرسلات
بها دقان « . ثم اداعي إلى بوشع أعاق الأحوال، علابد المقل، إن
عب يوم ما تشرف بصفحه احباب لأميزي، وما بين علاقة ملكي
يكيزي بقطع من كرمه أن يستد درر المهام في سلك الأعلام .. ويقطع
أبواب مولاه عفتايح المكاسب، يوجب ذلك رديك صده اسباب^{١٨} »

وواقع أن الذي يعبر من اعقرت لأخوة التي أوردناها سابقاً، أن هذه
رساله كانت أول نص رسمي من طرف لد هاه يعرض أن يكون قد

كتبت بعد تولي السلطان أحمد السلطة بفترة قصيرة إذ يستعد أن يقوم بحواجه جهات بإرسال هذه الرسالة لأحمد بعد سوات صوية من توليه للسلطة، ثم ليبر له عن الرعية في إقامة علاقات صداقة متبادلة، وبخاصة وقد عرفنا سابقا بأن رجل الدولة الهمة شديد الاهتمام بتوثيق الروابط مع منطقة الخليج العربي. فإذا كان افتراضا هذا سليما، فإنه يصبح أن نتحد من الفقرات المشار إليها دليلا آخر يؤيد ما افترضناه سابقا حول التاريخ الذي حررت فيه هذه الرسالة^(٣٦).

على أن المرر، يظهر من الرسالة التي دفعت بالخواجه جهات لكي يكتب إلى السلطان أحمد الحبري، كان لأخباره يتعرض سعية تحمل تجارا من رعاياه إلى عملية قرصة في عرض البحر وبأهم وصلوا إلى بلاد الهند، وقد فقدوا كل ماكانوا يحملونه، بما في ذلك الرسائل التي اعتادوا حملها معهم للتعريف بهويتهم، والتي كانت تمثل فيما تؤديه، جوازات السفر في وقتنا الحاضر. « يحيى بن يحيى الأميري أن أفعاره الحائرين إلى هذه الديار، ماكان معهم الكتاب والأخبار، بتوقع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق... »^(٣٧).

على أنه معهم صما من الفقرات السابقة وجود صلات تجارية ما بين شرقي الجزيرة العربية وسفطة الهند، وأن التجار العرب قد اعتادوا التردد على بلاد الهند في الهند، وأن ما وقع لرعايا أحمد من أضرار، والذي قد يكون قريبا من سواحل بلاد الهند، لا يتحملون مسؤوليته بشكل مباشر، وليس في الأمر من توافؤ موجه ضدهم.

والذي يبدو أن الحادثة نفسها حظوة بحيث يحشى أن تثير غضب السلطان أحمد، كما أنها في نفس الوقت تصلح لأن تتخذ سببا لتفتح باب الحوار والمراسلات ما بين الطرفين، وبأن يرسل حواجه جهات ممثل عنه بحمل هذه الرسالة ليضمن السلطان أحمد مباشرة ويطلع على ملائمتها الحادثة « وبما توجه حامل الصحيفة، إلى جانب الخراج الملكي، وكان المقصود تروية

حديقة الحبة الأثرية، ما أطلب المقال واحتصر بشرح الحال...» (٣٠)

بقي أن نقول إن الرسالة قد حتمت بكلمتين يحس عدم تجاهلها وهما «محمد وحيدر»، وذلك كجزء من الدعاء لأحود. إن وجود هاتين الكلمتين يوحي بأن كانتا متشيع والواقع أن ما نعرفه عن سكان حبال، والذي منهم حواجه جهان، هم شيوخ المذهب، وكان ذلك أحد أسباب تعاضدهم مع الدولة العثمانية وتعاضدها معهم أيضا خلال الصراع الذي دار مع الدولة الصفوية في إيران، وهي على المذهب الشيعي، وذلك طوال القرن العاشر (السادس عشر) كما أنه بهم من عبارات المؤرخ المكي ابن فهد، أن الشيع محمد قلاوي، وهو ابن أخ محمود قلاوي - حواجه جهان - كان من الشخصيات البارزة في المجتمع المكي في عصر ابن فهد (٣٧)، وعليه يمكن أن نتساءل هل أن الحواجه قد تشيع بعد ذلك، أما أن هاتين الكلمتين قد أصابهما الناسخ، وهو الحسب من أحد الكيرلاني (٣٨) خاصة وأن الفقرات الأخيرة من الرسالة، تستقيم معنى وسجعاً من دون ضرورة لماتين الكلمتين.



هناك تساؤلات من المفيد مناقشتها، وهي إلى أي مدى تطورت العلاقات بين السلطتين بعد هذه الرسالة، وما هو رد السلطان أحود الحبري عليها.

في الحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود أدلة بين أيدينا على استمرار تبادل الرسائل بين الطرفين، إلا أنه ليس هناك ما يحول دون الافتراض بأن العلاقات بينهما قد استمرت حيث. إذ أنه على الرغم من الروابط الوثيقة التي تربط ما بين الهمسين والهموزيين، فإن لا تملك دليلاً يؤيد وقوع الهمسين إلى جانب هموزيين في صراعهم الطويل مع الحبور في الخليج العربي (٣٩).

والواقع فإن مقاس حس العلاقة ما بين الدول في تلك العصور، هو عدم تعرض رعاياهم خاصة التجار منهم - إلى أي نوع من أنواع المضايقات في

منه ما سوء حال مروه به أو عند قامه فترة فيه وعلى هذا الأساس
 وساء بعل على شكوى من أي نوع، صدى من صرف صد لصراف لأخر،
 في حين أن عثر على رسالة شكوى من حواجة جهاب، و سبب مصر
 منبكي لأشرف ديساي (٨٧٢ ١٤٦٨ ٩٠١ ١٤٩٦)، والرسالة نصف
 مبالغة محار ووصون و حده، من مضاع على يد فرح مباشر حدة^١،
 حيث جاء فيه « أن سلس و مركب حدة^٢، لا وصل من حده
 و ساد عد في هذه حده، يرى ثمة روكب، حديث بلاطة الجور
 و بعل، و حكو عن تصادم صوف حصر، شاكين عن بعضي فراحه،
 و بعل، ماكن عن فرح صدمه و بعل، حيث لا يبق أحد من مسلمين
 الا وقد هب أموة، وما ورد عليه أحد^٣، لا وقد شوش أحواله » ثم
 بصيف حواجة جهاب مهلهد سببنا منبكي ثم صدمه الشجر بيا، حدة، لا
 قال « ومن أجل ذلك قد نشر صبح شرددين في هذه لسة عن ورود
 بتلك الأمكنة... » (١٣).

على أنه من معروف حشع سلاطين العاليات عموم، وأنهم قد شددوا
 قضيتهم خلال ثمرن التاسع (الخميس عشر) على وراث الحجار عامة وعلى
 حمارك حدة حصة، وألغوا الشجر قادمين بيا بالهرائب البهظة، من
 واحتكروا أنفسهم حق شراء بعض السلع حدة لسة من هؤلاء سحر
 بأسعار و بعل، ومن ثم يقومون ببيع الشجر، لا يقدرون بأسعار مرتفعة بحقيق
 دست أنفسهم بأحد صنية، غير أن سبب سببهم الصرة و يتحل ذلك
 و صحت في سياسة كل من رساي (٨٢٥ ١٤٢٢ ٨٤١ ١٤٣٧) وفانيناي
 (٨٧٢ ١٤٦٨ ٩٠١ ١٤٩٦) و د ما عرف بأن بعض لتحار بمصرون في
 آخرين و دفع رسوم على بصلتهم، مرة في عدد و أخرى في حده صافه أي
 بعض نقاص مرور الأخرى، ترك مدق حيف بشي كان بصلتهم^٤

و سبب مصروح هو، هل حة بعض سحر بدلي يأتون بصلتهم من
 اهد، و حصة من كسب، وفي هذه الفترة بالذات، و حاشي سموت صريف
 البحر الأخر للأخبار مذكرة بقاء صافه و سبب تعلق بالجاهات لرباع

في البحر الأحمر والتي لا تكون مساعده لدخولهم به في بعض المصوب،
 فوصول إلى حدة في موسم الحج^٩، أو بكلمة أخرى هل اتجه هؤلاء التجار
 إلى استخدام موانئ الخليج العربي، ومن بينها موانئ بلاد سيحر، عوف عن
 موانئ البحر الأحمر؟.

بالإضافة عن ذلك، يقول انتفاء، أن الخليج العربي كان خلال هذه الفترة،
 مثلما كان قبله وبعبارة ضيقة تجارياً هاماً، تدخله بعض القادة من المحيط
 هندي والبحر العربي، وبشكل خاص في شهري محرم وآب (يوليو وأغسطس)
 لتفزع حمولتها في مواسم لتخرج منه وهي محملة بالقمور والسبع (أخرى
 واستكمالاً لدورة الخطوط التجارية، فإن القوم اتجهوا بقل هذه السلع
 إلى مناطق مختلفة، خاصة في بلاد الشام والأصوار، حيث تنطلق هذه القوافل
 من موانئ الساحل الغربي لتختار القصة الأبرسة لتتجه عدة مسارات
 وصولاً إلى المناطق المشار إليها أعلاه، أو أن القوافل تنطلق من مصر لتسير
 بمحاذاة وادي الفرات من جهة الصحراء لواصل سيرها إلى الشام أو تحرف
 شمالاً لتدخل الأنصول.

ويشير الأحداث الحديثة إلى أنه خلال الفترة المشار إليها، كانت المنتجات
 المحلية تتوفر بكثرة في أسواق بورصة في تركيا وفي بعض مدن الشام، آتية عن
 طريق الخليج العربي^(١٠).

أما فيما يتعلق بتجارة البهارات، والذي يهمنا هنا تجاريها، فإن بين
 أيدينا رسالتين مرستين من الخرجة جهات إلى أمون بحسب المشغعي حاكم
 عرستان ومصر، يوصي فيها الأخير بحسب مقدمه اثنين من وكلائه بجملاي
 هذه البهارات، وذلك في أثناء وصولهم إلى البصرة وسجارة^{١١}.

كما أن سجلات قاضي بورصة لسنوات من ٨٨٤ (١٤٧٩) إلى ٨٨٦
 (١٤٨١) تشير إلى وجود وكلاء خواجة جهات فاسيون فيها لشحدهم السلع
 الهندية، كانوا يصلون إليها سلعهم عبر بلاد العرب^{١٢}، وبما كانت الجهة سي

جثاؤها من بلاد العربي غير معروفة، فمن الصعب الافتراض بأنهم أو عبيدهم من التجار اليهود، كما لو قد استخدموا موانئ شرفي الجزيرة العربية أو البحار ومن ثم التوجه إلى تلك الجهات غير بلاد الشام، وذلك عن طريق مرفقة قافله بحور التي تحرك من القطيف والأحساء كل سنة تقريبا قبل موسم الحج وبهذه البيا ناس كثيرون من الجزيرة وحلب إيران وهم يحمون سلع تلك الجهات إضافة إلى استيعاب هداية جثاؤها إذا إلى المدينة ولا ومن ثم إلى مكة» (١٨).

ومهما يكن من أمر فإن سعة نفوذ استيطان أحود البحري في الخليج والجزيرة العربية مما لا يمكن إغفال في الدولة العثمانية حواجه جهات، أن يتجاهله أو يستغنى عن مساعدته أحيانا، وهو يحرص على توسيع نشاطه التجاري والحفاظ على هذه المنطقة.

كما أن استيطان أحود هو الآخر سوف يكون بالتأكيد حريصا على التجاوب مع اربعة مصادر من الحواجة جهات، عند حصور من صداقة والتعاون بينها. وعليه فليس من المألوف أن تتصور قيام علاقات وثيقة بين الطرفين.

- ٦ -

بعد أن أنينا على آخر ما أردنا أن نقوله بخصوص رسالة حواجة جهات إلى استيطان أحود والطروف المحيطة بها قبل وبعد. يجب أن نلفت الانتباه إلى أن هذه الدراسة لا يقصد منها القضاء أصوة جديدة على سيرة البحور وما كانت تحتل من مكانة وأهمية في عهد سلطان أحود، فحسب، وإنما قد قصد منها أن يبين أهمية تاريخ جزيرة البحرين في توسيع دائرة البحث والبحري عن مصادر، نظر لاحتمالات المتوفرة في العثور على ما قد يساعد في الكشف عن بعض من حروب تاريخها، في بعض اعترفت على الأقل.

وستكمالا لمعائلة التي دبح من أبحاث البحث، ثبت فيما يلي، نظر

رسالة حواحه جهات إلى الشيخ أحمد بن زامل الحبري العامري، وهو المعروف
ومن أعقبه من سلاطين الجيوة، بـ «أين جبر».

«من قرر المحلوم الشهيد الأكرم إلى الشيخ أحمد المعروف باسم جبر»^{١٢٩}

بعد حمد الله وإصلاحه على بيته، فشرهف تسيمات الصيات، وبماس
التحيات راكبات، على الملك الأعظم الأكرم لأمر، لأفحم، لأفحم، ماتت المر
والهم، حامي حرب والمحم، مزار معرك الشعاع، كزار المصاف،
بأنسيف والسكان، أعدى ملوك الأضراف والأقصار، أشجع ولاية الأرماف
والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام، قسوة رؤر سبي عليه السلام،
المحصوص بعوض، الهي الصمد، ملث ملوك العرب، سلطان أحمود، لأزل
طريق اسوادي سدرقة^{١٣٠} تقويته مأمويه عن مرون لطورق، وتواقب صاقبه لأمعة
عن آفاق أمة الخلايق وأما جوهر الصبية والأشياء وفرايد العرام والأشواق،
فقد كثرت حيث لا يهي عنوانها دروح المحار والاستعارات، ولا يكفي بإحاطتها
أصناف التراكيب والعبارات.

يت

الشوق أكثر أن يختص حارحة ككي يت على احالات مشتاق

المسؤول من كرم واهب المأمور، أن يرفع نقاب التوقف عن محذور
لأنشاء، فانه نادر قادر على ما يشاء، ثم الداعي إلى بوشيع أعاقف
الأحوال بفلاهد مقل، أن تصب وان ما تشرف بصحة لحساب
الأميري، وما نرى مملأه الملكي الكبير، لكن فصل فؤاده مركزور في
حاتم عيته وعوض حياته، مساح في حر مودته، يصحح من كرمه أن
يسلك درر المهام في سلك الاعلام، لصب على عابقة لواء الانعام
ويفتح أبواب المودة بمعانيح مكاتبات، يسحب دلت إردباد صفاء
النيات وهي بين يدي الأميري أن أعفاه الخاتون إلى هذه الدهار ما كان

معهم الكتب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو
 علمة السارقة عليهم في أثناء الطريق. ولما توجه حامل الصحيفة إلى
 جانب الجانب السفلي، وكان المقصود تروية حديقة الشجرة الأثرية ما أطلب
 يقال واحتصر الحال، وحتم مدعاء حصول الآمال. رب كما وفقته بحماية
 أهل القلعة والوبر، احسن طوبى عمره في يوم الحشر، محمد وحيدر



(٨) راجع عبد الكريم بن محمد السملهي، كثر المغان من الانشاء، مخطوطة في مكتبة رئيس الكتاب معطلی أنقري، اسطنبول (المكتبة السليمانية، رقم ٨٨٤، والمخطوطة هذه قد كتبت في دمشق عام ٩٩٦ (١٥٨٨) بخط الحسين بن أحمد الكركلائي.

Inalcik, Bursa.

(٩)

(١٠) راجع كثر المغان.

(١١) عبد العزيز بن عمرو بن فهد (ت ٩٢٢) «بلوغ القرى في ذيل الخراف الویری بأخبار أم القرى، مخطوطة في مكتبة الحرم المكي بدون رقم، «تاريخ دهلوی» وهي مصورة في مكتبة جامعة الرياض (في حوادث ذي الحجة ١٨٨٦).

(١٢) راجع كثر المغان.

(١٣) لقد سبق أن ناقشنا في بحثنا «التاريخ السياسي لأمارة الجبوري» الذي أشرنا إليه سابقا، الأدلة التي تُعَدُّ لنا بداية حكم السلطان أحمد وخرجنا بتبعه، وهي أنها كانت في حدود عام ٨٧٥ / ١٤٧١. إلا أننا على ضوء رسالة مواجه جهان قلنا أننا قبل أن نقول بأنها كانت قبل عام ٨٧٤ (١٤٧٠) قبل. هذا وسوف نرى في الصفحة (٧) الأسباب التي دعانا إلى ذلك.

(١٤) من أجل الاختلاف على التفاصيل ذلك، راجع الحميدان، التاريخ السياسي لأمارة الجبوري، ٤٩ - ٦١.

(١٥) حول لوفال الجبوري، راجع، عمر بن فهد (ت ٨٨٥) الخراف الویری بأخبار أم القرى، رقم المخطوط بدون، «تاريخ دهلوی»، مكتبة الحرم المكي. ومن نسخة مصورة في مكتبة جامعة الرياض. حوادث ٨٧٦. كذلك راجع عبد العزيز بن عمر بن فهد، المصدر السابق، حوادث ٨٨٨، ٨٩٣، ٩٠١، ٩١٠، ٩١١، ٩٢١. أيضا راجع بحثنا السابق «التاريخ السياسي لأمارة الجبوري».

(١٦) السهمودي (ت ٩٠٨ / ١٥٠١) وفاء الوفا (القاسمية ١٩٥٥) ج ٣ / ١٩٣. السهمودي (ت ٩٠٨ / ١٤٧٧) في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (مستورات مكتبة الحبيب، بيروت، مبد. ١ / ١٩٠). كذلك راجع الحميدان، المصدر السابق، ٥٠.

(١٧) لابد لنا أن نذكر هنا فضل البروفسور جان لوبان، لأنه الوحيد الذي أشار إلى وجود هذه الرسالة ضمن مخطوطة «كثر المغان» فدفعا ذلك إلى الحصول على نص هذه الرسالة. إلا أنه قد التبس عليه عندما ذكر بأن هذه المخطوطة موجودة ضمن مجموعة مكتبة عائش أنقري، والصحيح هو ما ذكرناه من أنها ضمن مكتبة رئيس الكتاب معطلی أنقري، كما بينت ذلك فهرس المكتبة المذكورة ضمن مكتبة السليمانية باسطنبول وأكد ذلك أيضا مسئول المكتبة المذكورة.

Aubin, Le Royaume D, Ormuz au début du XVI^e Siecle" in Mare (١٨)
Luso - Indicum, (Jneve 1973)
11 - 77 - 179, esp. 124, note. 292.

El, Mahmud (١٩) حول التهمة التي لفظها خصم حواجه جهان وظروف قتله، راجع
Gawan. كذلك راجع ابن فهد، بلوغ القرى (في حوادث ذي الحجة ١٨٨٦).

Aubin La vie et le règne de l'émir, يمكن الرجوع الى
L'auvte de Nimdihi, Revue des Etudes Islamiques, 34, (1977), 61 - 81.

ويبدو أن عبد الكريم الهمداني أراد أن يماكي في عنوان كتابه الكتاب الذي كان قد ألحقه محمود قلاوون
(حواجه جهان) التسمي «رياض الانبياء» الذي نشره شيخ جليله في شهر أيلول عام ١٩٤٨. والكتاب
المذكور يعتبر مصدراً مهماً لحياة ونشاط القلاوون.

(٢١) راجع حول ذلك تحليل الرسائل المختلفة في «كنز المعالي».

(٢٢) كنز المعالي، ورقة ٦٠٤.

(٢٣) راجع دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة، مادة «محمود قلاوون». وقد مر الانبياء الى ذلك.
Iqtidar Alam Khan, Early use of Cannon and Musket in India, وكذلك
Journal of the Economic and Social of the Orient, vol - xxlv, Part 11,
1981. 146-63, esp. 62-3.

The Book of Duarte Barbosa, Translated from the Portuguese (٢٤)
text by M. Longworth Dames, vol. I, reprint in W-G, Wiesbaden, 1967,
186 (Issued by the Hakluyt Society, 2nd series, no 44).

(٢٥) راجع الحاشية رقم (١٣).

(٢٦) كنز المعالي، ورقة ٦٠٣.

(٢٧) المصدر السابق، ورقة ٦٠٣ - ٦٠٤.

(٢٨) العربي : التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣٦٢.

الفلقشندي : صبح الأمتى، القاهرة، ١٩١٥، جزء ١١٧/ ٥ - ١٨، ٣٧/ ٧ - ٧٦.

(٢٩) المدقة أو البقرة هي الخفلة، المشرق هو الحفر، وهنا تعني حفلة القوافل الصحراوية. راجع الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الباء، باب القاف. الريدي، تاج العروس، فصل الباء من باب القاف.

(٣٠) كثر المال، ورقة ١٥٣ - ١٥٤.

(٣١) وفاة الوفا، ٣/ ١٩٣.

(٣٢) الضوء اللامع، ١/ ٧٠.

(٣٣) كثر المال، ٩٣ ب.

(٣٤) راجع الصفحة (٧) من هذا البحث وكذلك الحاشية (١٣).

(٣٥) كثر المال، ورقة ١٥٣ - ١٥٤.

(٣٦) المصدر السابق ورقة ١٥٤.

(٣٧) راجع، بلوغ القرى (حوادث في الحجة ١٨٨٦).

(٣٨) كثر المال، ورقة ١٥٧.

(٣٩) حول الصراع بين الجور والملكة هرموز راجع بحثا سابق، ١٧ - ٥٣.

(٤٠) ثم يرد في الرسالة تاريخ محدد ولا ذكر للأشرف قايتباي، وإنما عرفنا تاريخ الرسالة القرطبي من ورود اسم قراجا الذي كان ناظرًا على حده من أواخر ٨٨١ إلى أوائل ٨٨٣. راجع، الخاف الوري، حوادث السنوات المشار إليها. وكذلك الضوء اللامع، ٦/ ٣١٥.

(٤١) يقصد هنا بالراكب المحملية أي تلك التي تكود على المحار، في حين أن العرب يطلقون على السفن التي تكود عادة على موانئ الهند بالراكب الهندية، وليس من علاقة بين هذين التعبيرين ومن يملكها.

(٤٢) هكذا وردت في النص والصحيح أحد.

(٤٣) كثر المال، ورقة ٩٢ ب - ٩٣.

ملك

(٤٤) راجع ابن فهد، الخاف الوري....، حوادث السنوات ٨٢٨، ٨٣١، ٨٣٨، ٨٨١. بلوغ القرى....، ٩٠٢، ٩١١. كذلك راجع د. عصي ليد. التجارة الكازمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية (١٩٥٢) ٢/ ٤ ص ٥ - ٦٣. كذلك محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر أماليك الحراكبة، الدار، العدد ٢/ السنة السادسة (١٩٨١/ ١٤٠٩) ص ١٢٦ - ١٢٦.

Frederic C. Lane, Pepper Prices Before Da Gama, Journal of Economic History, vol, 28 (1968) pp 590 - 97.

A-H- Lybyer, the Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade, the English Historical Review, No. Cxx, oct, 1915, 577 - 88, esp. 581 - 83; E-C-Lane, Ibid; Inalcik, op. Cit.

E. Ashtor, Spice Price in the Near East in the 15th Century, J- of the Royal Asiatic Society, No. 1 1976. 26-14.

هذا ويذكر ابن بطون بأنه في ربيع الآخر سنة ٨٨٥ هـ / يوليو / تموز ١٤٨٠ تعرضت قافلة تجارية كانت تضم ثلاثة آلاف حمل متجهة من العراق إلى الشام على الطريق الصحراوي ونهب ما فيها من بضائع. إن الاستدلال يؤكد أيضاً استمرار سيطرة القوافل التجارية ما بين العراق وبلاد الشام، إن لم تكن قد نشطت في هذه الفترة، وقد ورد في هذا النص ذكر لعلاقة تربط ابن حجر وأخوه بن زامل بأحد رواد القافلة، الأمر الذي يفهم منه بأن الجبور ربما قد ساهموا في هذه القافلة.

راجع محمد بن بطون، مفاكهة الخلال في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القسم الأول / القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦٢، ص ١٨.

(١٦) كنز العمال، ورقة ١٦٤ - ١٦٧.

Inalcik, Op. Cit, 141.

(١٧)

(١٨) حول قوافل الجبور راجع الحاشية (١٥). ويتضمن ما أن تشير هنا إلى أنه لدينا الدليل على أن بعض القادمين من السواحل الغربية للهند بأنون إلى الحجاز عن طريق شرق الجزيرة العربية وذلك عندما لا تكون الظروف ملائمة عن طريق البحر الأحمر. فإن فقد يذكر أنه بعد انتصار الأسطول المملوكي بقيادة حسن الكروبي في معركة الأولى أمام الأسطول البرتغالي عاد بعض أفراد الجيش المصري عن طريق بلاد بني حمر، راجع بلوغ القرى حوادث جمادى الأولى عام ٩١٤.

(١٩) يقع النص بأكمله في كنز العمال في الورقة ١٦٣ حتى ١٦٤.

(٢٠) الصنف جمع مصف وهو موضع الصنف، المراد هنا ذكره حين اصطفاك الجنود في القتال.

(٢١) بدريه، سبق أن شرحنا معناها في الحاشية (٢٩) وهي تعني المخافة.